القِيم فِي القرْآن الكَريم وَدوْرُها فِي تَربِية الإنسَان

إعداد
الأستاذ الدكتور
محمد عبد المولى محمد جمعة
أستاذ الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة في جامعة الأزهر

ملخص البحث

فإنّ القرآن الكريم اشتمل على منهج يبني الإنسان من داخله ليتجاوب مع العِلم من خارجه، وذلك عن طريق المبادئ والقِيم القرآنيّة التي وردت في القرآن الكريم.

وقام النّبي صلى الله عليه وسلم بغرْسها عن طريق التّربية لهذا الإنسان.

ويسعدني ويشرفني أن أقدّم هذا البحث المتواضع حول هذا الموضوع بعنوان (القِيم في القرآن الكريم ودَوْرُها في تربية الإنسان).

ويتكوّن من مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

المقدّمة تشتمل على أهميّة والموضوع وأسباب اختيار... إلخ.

المبحث الأول بعنوان: التعريف بالقِيم ومشتقات اللفظ في القرآن الكريم، فعرفت القِيم في اللغة والاصطلاح وبينت هذه المشتقات، وهي: الاستقامة والإصلاح والالتزام...إلخ.

وبينت أهميّة القِيم وأهمّ مميزات القِيم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني بعنوان منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم في تربية الإنسان.

بيّنت في هذا المبحث مكانة الإنسان في القرآن الكريم ومفهوم التّربية وأهميّتها، ومنهج القرآن في غرْس القِيم.

ثم الخاتمة وقد اشتملت على أهمّ النّتائج والتّوصيات. فذكرت من نتائج البحث:

١- أنّ دراسة القِيم في القرآن الكريم لازمة من لوازم الإنسان في التّربية، لأنّه محور رسالة الإسلام.

٢- أنّ هذه القِيم تقوم على أصول ثلاثة: العقيدة والشريعة والأخلاق، وأنّ القِيم هي موضوع التّربية.

من التّوصيات:

١- إعداد موسوعة علميّة عن القِيم في القرآن الكريم والسنّة النّبويّة.

٢- الاهتمام بغرْس القِيم لدى النّشء منذ الصغر.

الكلمات المفتاحية: القِيم ، القرآن الكريم، تربية، الإنسان، مبادئ.

The values in the Noble Qur'an and their role In human education

Mohammed Abdul Mawla Mohammed Juma

Department of Islamic Support and Culture
Faculty of Da'wa and The Origins of Religion,
Um al-Qura University

Email: dr.mohamedabdelmawla@gmail.com

Abstract

All praise is due to Allah

The Holy Quran included a methodology that builds and establishes human being from inside to commensurate with knowledge through Quranic principles and values.

The Prophet instilled these principles and values by raising a person. This research entitled "The Values in the Qur'an and its role in raising human beings". The research included an introduction, two topics, and a conclusion

The introduction includes the importance of the topic, the reasons for choosing it, etc. The first topic entitled: "Definition of the values and derivatives of the words in the Holy Quran". The topic handles defining the lexical and contextual meaning of values, and explaining these derivatives, which are integrity, reform, commitment, etc.

The research showed the importance of values and the most important characteristics of values in the Qur'an

The second topic entitled: "The Qur'an approach to inculcating values in human education".

This topic handles the human position in the Qur'an, the concept of education, its importance, and the method of the Qur'an in implanting values. The research included a conclusion and the most important findings and recommendations. The most important findings were the following:

1. The study of values in the Qur'an is necessary in a person's life in relation to education, because it is the focus of the message of Islam
2. These values are based on three principles: belief, Sharia and ethics, and that values are the subject of education

Recommendations:

1. Preparing a scientific encyclopedia about the values in Qur'an and Sunnah of the Prophet
2. Paying attention to inculcating values among young people since childhood

The research included the indexes

Keywords: Values, Quran, Education, Man, principles.

المقدمة

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خاتم النبيّين والمرسلين، ورحمة الله للعالمين نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنّ القرآن الكريم هو كتاب الله الأقدس الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، أنزله الله على نبيّه الأمين صلوات الله وسلامه عليه، هدى ورحمة للعاملين وتكفّل الله بحفظة من أي عبث أو تحريف، فقال تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١).

وهو الحصن الحصين، والمرجع الجامع المانع للبشريّة كلّها، والسند لكلّ راغب أو ناهل، تنزل من لدن حكيم للنّاس كافّة مبيّنًا لهم دينهم الذي ارتضى لهم ومنبهًا للقِيم الإسلاميّة، وهو المقوّم الأساسي لها.

من أجل ذلك نهج بالنّاس منهجًا تربويًّا في كلّ ما يأتيهم من عظات وآيات وأحكام وأخبار، فهو النّبراس الأسمى لكلّ ما يتطلّع إليه الإنسان من أُسس القِيم الإسلاميّة السّليمة، يظهر ذلك في منهجه التربويّ الذي فيه عدّة مظاهر تربويّة تبيّن مدى تفرّده وصلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

ولمّا كان الإنسان هو محور الرّسالة الإسلاميّة والقِيم الإسلاميّة، اتّجه إلى تربية الإنسان على أُسس وقِيم القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

---

(١) سورة الحجر: الآية رقم (٩).

وذلك عن طريق منهجه القائم على هذه الأُسس والقِيم الـذي يـنهض بفطـرة الإنسان، فيجعل قلبه زاخرًا بالإيمان، وضميره موصولاً بالله عزّ وجلّ. فإذا تمكّـن الإيمان في قلب الإنسان جعله يسمو ويتطلّع إلى قِيم عُليا.

فهو منهج يبني الإنسان من داخله ليتجاوب مع العالم مـن خارجـه، ويجعـل الإيمان الإيجابي رقيبًا عليه وهو يؤدي دَوْره في الحياة، ويحدّد له الطّريـق الـذي يسير عليه كما ينبغي.

- إيمانٌ يحرس الحياة.
- عملٌ جاد يترجم عن العقيد.
- عِلمٌ متخصّص يترجم لذلك كلّه.

ولذلك تستجمع القِيم في القرآن الكريم خصائص رفيعة، من عقيدة تنير القلـب، وعلم يشحذ العقل وعمل يبني الحياة، وضمير يراقب الله عزّ وجلّ.

فتثبّت القِيم وتحصّن الإنسان من الذّوبان، وتفيض عليه طمأنينة وتجعل حياتـه وحركته إلى الأمام ثابتة الخُطى ممتدة من الأمس إلى اليوم، لأنّها في إطار العقيـدة وسياج الدّين فتقدّم له ما فيه صلاحه ونجاحه في الدّارين. قال الله تعـالى:﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(١).

ولمّا كان القرآن الكريم كذلك ويحمل هذه القِيم النّبيلة، آثرت أن أقدّم بحثي في موضوع من أهمّ الموضوعات التي تتّصل بصلاح الإنسان، وهو

"القِيم في القرآن الكريم ودوْرُها في ترْبية الإنسَان".

تلك القِيم التي عرضها القرآن الكريم عرضًا معجزًا شيّقًا مؤثرًا، تراهـا قِيمًـا ليست متناثرة، بل متعانقة تعانق الأمواج في المحـيط، ويمتـزج بعـضها بـبعض

(١) سورة الملك: الآية رقم (١٤).

ويتشابك اللاحق منها بالسابق في تتابع وانسجام حتى تكون في النّهاية هيكلاً ضخمًا لأروع تربية عرفها الإنسان، لاشتمالها على ضروب التّربية كاملة شاملة.

وقد اشتمل البحث على: مقدّمة ومبحثين، وخاتمة وفهارس.

أما المقدّمة، تشتمل على أهميّة الموضوع وأسباب اختياره..إلخ

المبحث الأول: التعريف بالقِيم ومشتقات اللفظ، ومميّزات القِيم في القرآن الكريم

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في غرس القِيم

ثم الخاتمة والفهارس.

وبعد: فإنّي لأرجو أن يكون ما أقدّمه من جهد متواضع في هذا البحث حافزًا لغيري من الباحثين ولكلّ المهتمين بدراسة القِيم الإسلاميّة على مزيد من البحث والدّراسة الواعية في مجال القِيم في ضوء القرآن الكريم والسنّة النبويّة. وأسأل الله أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنّه معقد الأمل والرجاء وهو نعم الموفِق والمعين.

المبحث الأوّل

التعريف بالقِيم وأهميّتها ومميّزاتها في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: تعريف القِيم في اللغة والاصطلاح ومشتقات اللفظ.

المطلب الثاني: أهميّة دراسة القِيم في تربية الإنسان.

المطلب الثالث: مميّزات القِيم في القرآن الكريم.

المبحث الأول

التعريف بالقيم وأهميتها ومميّزاتها في القرآن الكريم

المطلب الأوّل: تعريف القِيم في اللغة والاصطلاح ومشتقات اللفظ.

تعريف القِيم في اللغة:

القِيم في اللغة؛ مفردها قِيمة وهي اسم هيئة من قام بالشيء بكذا يعني ثمنه المقابل له.

ومن معانيها الاستقامة، في الحديث: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ[1]»، وفُسّر على وجهين، قيل: هو الاستقامة على الطّاعة، وقيل: هو ترك الشّرك. يقال: أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام. والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه. ثم استعملت الكلمة بمعنى القدْر والمنزلة وهو انتقال من دلالة ماديّة إلى دلالة معنويّة[2].

مشتّقات اللفظ في القرآن الكريم:

وردت مشتّقات اللفظ في القرآن الكريم حوالي (٢٧٨) مرّة، مائتين وثمانية وسبعين موضعًا، جاءت لفظ القيامة منها في سبعين موضعًا.

وجاء اللفظ بمعان مختلفة منها:

١-الإصلاح والمحافظة، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[3].

٢-الدين القيمة بالقسط: قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[4].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ط٢ ،الرسالة: ٢٤/ ١٤١، رقم الحديث (١٥٤١٦)

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٤٩٦/١٢-٥٠٤. مادة (قوم).

(٣) سورة النساء: الآية رقم (٣٤).

(٤) سورة البينة: الآية رقم (٥).

٣-التّوحيد والإيمان والعمل بطاعة الله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(١).

٤-العزم: قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾(٢).

٥-الاستقامة: قال الله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ (٣).

٦-الملازمة والمداومة: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾(٤).

٧-الوقوف: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥).

٨-القائم الحافظ لكلّ شيء: قال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾(٦).

٩-مصدر للمقام: قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾(٧).

١٠-اسم للمكان: قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٨).

١١-ما خصّ به الإنسان من كمال الهيئة: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٩).

---

(١) سورة الإسراء: الآية رقم (٩).
(٢) سورة الجن: الآية رقم (١٩).
(٣) سورة المائدة: الآية رقم (٨).
(٤) سورة آل عمران: الآية رقم(٧٥).
(٥) سورة المطففين: الآية رقم (٦).
(٦) سورة طه: الآية رقم (١١١).
(٧) سورة يونس: الآية رقم (٧١).
(٨) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).
(٩) سورة التين: الآية رقم (٤).

١٢-لزوم المنهج الصحيح: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[١].

١٣-منازل الملائكة: قال الله تعالى:﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [٢].

إذا معنى اللفظ يدور في إطار المعاني التالية:

١-الثمن والقدْر.

٢-الاعتدال وعدم الانحراف.

٣-الاستقامة والملازمة والمحافظة.

٤-العزيمة والرغبة الدافعة إلى العمل.

وكلّ هذه المعاني تدلّ على أنّ هذا اللفظ تشترك فيه مجموعة من القِيم القرآنية توجّه إلى تقويم الإنسان والتزامه بقِيم القرآن الكريم.

القِيم في الاصطلاح:

قبل تعريف القِيم في الاصطلاح أودّ أن أشير إشارة موجزة توضّح لنا مفهــوم القِيم الإسلاميّة وهي:

بعث الله الرّسول صلى الله عليه وسلم، فدعا الأمّة إلى توحيد الله ونبذ كلّ فرقة واختلاف، والتّجاوز عن الأحقاد. فلمّا امتثلوا ووحّد الإسلام شتاتهم بأمر عظيم، وهو حمل الرّسالة إلى العالمين.

فكيف استطاع الرّسول صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك؟

---

(١) سورة فصلت: الآية رقم (٣٠).

(٢) سورة الصّافات: الآية رقم (١٦٤).

إنّه بتوفيق الله أولاً ثم بالقِيم العظيمة التي جاء بها فحملها النّاس بقوّة التطبيق والسّلوك والالتزام، لا بالحفظ والاستظهار والكلام فقط.

نستنتج من هذه الإشارة مفهوم القِيم الإسلاميّة، وهو: "القِيم الإسلاميّة هي: تلك المبادئ العظيمة التي التزم بها المسلمون فطبّقوها سلوكًا عمليًّا في حياتهم، وألزموا بها أنفسهم وأهليهم وذراريهم بإرشاد من القرآن الكريم، وتوجيه الرّسول صلى الله عليه وسلم، حيث يصحّح لهم أخطاء التّطبيق حتى استقامت حياتهم على هذه القِيم(١)".

وعرّفها بعض الباحثين بقوله: "القِيم الإسلاميّة هي: أحد المحدّدات للسّلوك، وهي ضوابط اجتماعيّة تضبط التّفاعلات والعلاقات بين الأفراد، وهي تحدّد السّلوك المرغوب والسّلوك غير المرغوب، والإسلام هو مصدرها الأساسي، ولكلّ الأفكار التي تحكم التّربية الإسلاميّة والتي تضبط سلوك الأفراد، والنّفس البشريّة بفطرتها التي فطر الله النّاس عليها تقبل هذه القِيم التي جاء بها الإسلام، وهذه القِيم تساير تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكّيها وتنظمها وتسخرّها لإصلاح الفرد والمجتمع(٢)".

هذا تعريف القِيم أو مفهوم القِيم في الإسلام. أما لفظ القِيم فهو لفظ عام بمعنى أنه يختلف مفهومه من أمّة إلى أمّة أخرى.

فالأمّة الإسلاميّة تختلف قِيمها تمامًا عن قِيم الغرْب من حيث المصدر والهدف والأسلوب والوسيلة، ولذلك عرّفت القِيم في الاصطلاح بتعريفات كثيرة، منها ما يحمل المفهوم الغرْبي عن القِيم، ومنها ما يحمل المفهوم الإسلامي(٣).

---

(١) المسلم المعاصر بين القِيم الإسلاميّة والمصالح الشخصيّة، للأستاذ: حيدر قفه، مجلة الوعي الإسلامي-العدد (٣٩٥)- عام ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٣٢.

(٢) ينظر: بناء الأجيال، د/عبد الكريم بكّار، ص٣٥.

(٣) ينظر: المبادئ والقِيم في التربية الإسلاميّة، ص٤٧.

لمزيد البيان والفائدة يراجع في هذا الموضوع:

المطلب الثاني: أهميّة دراسة القِيم في تربية الإنسان

لمّا كان الإنسان هو محور الرّسالة الإسلاميّة والتّربية القرآنيّة، اتّجه الإسلام أصلاً إلى تربية الإنسان تربية شاملة كاملة عامّة. ذلك لأنّ الإسلام يعتبر الإنسان هو العمود الفقري لكلّ بناء وعمران وتقدّم وإصلاح، بل هو الهدف والغاية من التّربية ومن إنزال الكتب وبعثة الرسل –عليهم السلام–، وإعمار الأرض والسّعي نحو الرّقي والسّعادة والصّلاح والفضيلة. ولا يتم ذلك إلاّ بتربية الإنسان على قِيم القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن أُبيّن أهميّة القِيم في تربية الإنسان أودّ أن أوضّح بعض المصطلحات ذات الصّلة بالموضوع حتى نقف على تلك الأهميّة، وهذه المصطلحات هي:

١–المبادئ.

٢–القِيم.

٣–التربية، وبيان مدى العلاقة بينها:

١–المبادئ هي:

"مجموعة القواعد والأُسس والأفكار المستنبطة أساسًا من القرآن الكريم والسنّة النبويّة، والتي يقوم عليها المنهج التّربوي الإسلامي[١]".

– القِيم في العمليّة التربويّة–مؤسسة الخليج العربي، ط١٩٨٤م.
– المعجم التربوية–لطفي بركات أحمد، دار الوطن.
– موسوعة المورد–منير البعلبكي، دار العلم للملايين.
– تطورات في قِيم الطلبة–محمد كاظم، مكتبة الأنجلو المصريّة.
– القِيم الخاصة لدى المبدعين–محي الدين أحمد، دار المعارف، ١٩٨١م.
– ارتقاء القِيم–دراسة نفسيّة–عبد اللطيف خليفة، الكويت–سلسلة عالم المعرفة، العدد(٦٠).

(١) ينظر: المبادئ والقِيم في التربية الإسلاميّة، ص٢٢.

من خلال هذا التّعريف يظهر لنا ترادف بعض الألفاظ، مثل:

القواعد والأُسس والأصول فهي تشترك في معنى واحد.

والمراد بالمبادئ في القرآن الكريم هي: الأصول التي قامت عليها القِيم والتربية، وهي:

الأصل الأول: العقيدة.

الأصل الثاني: العبادة.

الأصل الثالث: الأخلاق.

٢-مصطلح القِيم:

القِيم هي: المعايير أو المقاييس والضّوابط التي يُقوم بها سلوك الإنسان في هذه الحياة، سواء كان هذا السّلوك متعلقًا بصلته مع الغير أو مع نفسه.

٣-التربية:

هي عمليّة البناء والتّكوين، وتقوم على المبادئ والقِيم، والقِيم هي موضوع التّربية.

العلاقة بينهم:

المبادئ هي أساس القِيم، يستنبط منها ولا تستنبط هي من شيء آخر.

والقِيم تستنبط من المبادئ، وهي الموجّهة للقِيم والأصل فيها، وتتّسق مع القِيم وهي أصلها. والقِيم هي موضوع التّربية، والتّربية موضوعها الإنسان.

وبهذا تكون العلاقة بينهم علاقة عضويّة أنّ كلّ واحد منها يدخل في تكوين الآخر، فلا توجد تربية بدون مبادئ وقِيم، كما لا يمكن أن تكون هناك تربية بدون مبادئ وقِيم(١).

التّربية تقوم على المبادئ والقِيم لتكوين بناء شخصيّة الإنسان، وهذه الشّخصيّة يحدّدها نوع السّلوك الذي تحدّده القِيم.

التربية: عمليّة غرْس للقِيم التي يؤمن بها الإنسان واستمرارها من جيل لآخر.

مراعاة التّربية للقِيم هي الضّابط الأساسي لكلّ ما تقدّمة التّربية(٢).

لأنّ الإسلام يبدأ في تربية الإنسان بتكوين ضميره وأخلاقه وفضائله ثم يطلقه ليعمل بهذه القِيم النّظيفة، التي غايتها إسعاد البشريّة، وتوجيهها وجهة ربانيّة لتعبد الله وحده وتحيا قويّة منيعة(٣).

(١) ينظر: المبادئ والقيم، ص٤٤.

(٢) ينظر: القِيم والتربية، ص٣٥.

(٣) ينظر: قِيم حضارية في القرآن الكريم: ٢٧/٢. ملتقى التربية بالقرآن الكريم-مناهج وتجارب: ٤٧/٢.

المطلب الثالث: مميّزات قِيم القرآن الكريم

تستمدّ قِيم القرآن من خصائص القرآن الكريم ومنزلته، فالقرآن هو: كلام الله العظيم وصراطه المستقيم ودستوره القويم، وهو رسالة الله، ومعجزته الدّائمة ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السّابغة، وهو حجّة الرّسول الدّامغة وآياته الكبرى شاهدة برسالته وناطقة بنبوّته.

ومنزلة القرآن وفضله لا يدانيه فضل، ولا تسمو إليه مكانة. أما عن خصائصه، فهي كثير منها ما يتعلّق بفضله وشرفه ومكانته، ومنها ما يتعلّق بأسلوبه ولغته، ومنها خصائص عامّة كحفظه في الصّدور والسّطور، واتصال سنده وأنه لا يمسّه إلا المطهّرون، وأنّ الله قد تعّهد بحفظه، ووفاؤه بحاجات البشر، وتأثيره في النّفوس، والاستشفاء به، والتّعبد بتلاوته[1].

من هذه الخصائص: تظهر مميّزات القِيم القرآنيّة، وهي كما يلي:

١- التعّهد الإلهي بصون القِيم، فكما تعّهد الله بحفظ القرآن، تعّهده كذلك في البيان والتّفسير حفاظًا على مدلولاته لتبقى قِيمه مصونة لا تتلاعب فيها أهواء العباد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2].

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات: "ضمن له الله تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقرأه، ويجمعه الله في صدره، فقال: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾، أي في صدرك وقرآنه أي أن تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، أي: **"**فإذا قرأناه "أي إذا تلاه عليك الملك

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٣٣٥/٣، والموافقات، للشاطبي: ٣٣٦/٣، وخصائص القرآن الكريم، د.فهد الرومي-دراسات في القرآن الكريم، ص٥٧ وما بعدها.

(٢) سورة القيامة: الآية رقم (١٧-١٩)

عن الله تعالى" فاتبع قرآنه "أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا. "[1].

هذه الميزة تؤصّل لغرْس القِيم القرآنيّة في القلوب والنّفوس والسّلوك.

ولذلك نجد أنّ معاني القرآن ظلّت مصونة في نقل القِيم للنّاس مع بيان وتبيين الرّسول صلى الله عليه وسلم وهو والمتعارف عليه بين الدّراسين بالبيان المأثور نتيجة توافر ضابطي:

١- النّقل.

٢- التّوثيق لهذا البيان.

٣- مع تشكيل مرجعيّة أساسيّة للفهم القرآني تجلّت زيادة على التّفسير والتّبيين في تطبيق مشهود لهذه الأمّة بالخيريّة، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

لكلّ هذا كانت القِيم القرآنيّة صالحة لكلّ العصور، لأنّها تعتمد على هداية الوحي والبيان من سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

٢-من أهم ما تمتاز به القِيم القرآنيّة أنّها تتعلّق بالتكليف، والتّكليف يعني:

١-المسئوليّة.

٢-الحريّة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ /٣٨٨

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (١١٠).

(٣) ينظر: تربية القِيم في القرآن الكريم، ص٣٨.

٣-الاختيار.

وهذه العناصر تحتاج إلى بحث مستقلّ حيث إنها تحدّد الهدف والغاية من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، ومن ثَمّ نجد المكلّف يمتلك الحسّ الواضح لترجمة قِيم القرآن وتعاليمه الربانيّة.

٣- يجب على المكلّف أن يقف على هذه المميّزات عن طريق نصوص الوحي، ويتعرّف عليها بدليلها، فيبدأ بما يلي:

١- الرّبانيّة: فيتعرّف من خلالها أنّ القِيم التي تحكم التّربية من عند الله، فهي ربانيّة المصدر والهداية والغاية، قال الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

٢- إنسانيّة: فهي ربانيّة المصدر، وهي للنّاس كافّة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢). فهي إنسانيّة تجلّت إنسانيتها في شخص الرّسول صلى الله عليه وسلم، فقد، ضرب أروع الأمثلة في المعاملة الإنسانيّة والشّفقة والعطف والرّحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا (٤)".

(١) سورة النحل: الآية رقم (٤٤).
(٢) سورة سبأ: الآية رقم (٢٨).
(٣) سورة الأنبياء: الآية رم (١٠٧).
(٤) رواه البخاري، ط ابن كثير: ١/ ٣٩، برقم (٧٠).

٣- واقعية: ويقصد بواقعية القِيم "معرفة حقيقة الإنسان، ومراعاتها عند تكليفه أو محاسبته، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[١].

٤- إيجابية: فهي قِيم إيجابية في كلّ ما يهم الإنسانيّة فتوجهها إلى أنّ أصل الإنسانيّة في الخَلْق واحد، التي تعني وحدة الهدف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣].

وتوجّه الإنسان إلى أداء رسالته في الحياة وفي إتقان عمله والتّعاون على البرّ والتّقوى وفعل الخيرات وترك المنكرات، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

روى أنس بن مالك: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ[٥]».

---

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٢٨٦).
(٢) سورة النساء: الآية رقم (١).
(٣) سورة الذاريات: الآية رقم (٥٦).
(٤) سورة التوبة: الآية رقم (١٠٥).
(٥) رواه البخاري: ٤/ ١٩١٥-الحديث (٦٠٦٥).

٥- الشّمول والكمال: قِيم القرآن الكريم في شمولها وكمالها تراعي الإنسان في جانبه الماديّ وجانبه المعنويّ. وهذا هو الشّمول والكمال: إحداث التّوازن بين الجانبين توازنًا دقيقًا.

ودليلها كثير في القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1].

ورَوَى أَنَس رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي[2]».

٦- التوسّط والاعتدال: قِيم القرآن الكريم كما أنّها شاملة وكاملة وإيجابيّة، فهي وسط ومعتدلة، وثمرة ذلك تخريج أمّة تربّت على قِيم القرآن الكريم شهد لها ربّها سبحانه وتعالى بذلك، قِيم تربّي أمّة وليس فردًا، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

(١) سورة القصص: الآية رقم (٧٧).

(٢) رواه البخاري: ٦٣١/٤-الحديث (٥٠٦٣)، ومسلم: ١٠٢/٣-الحديث (١٤٠١).

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١).

لذلك فهي صالحة ومستمرّة ومستقرّة.

٧- واضحة: قِيم القرآن الكريم واضحة وغير متناقضة مع الدّقة، والإعجاز وهذه السّمة مستمدّة أيضًا من سِمة الإسلام في مبادئه وأهدافه وقواعده ومنهاجه ووسائله وأساليبه.

فقد حدّدت هذه القِيم للإنسان مسئوليته والمنهج الذي تسير عليه، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٢).

من أجل ذلك فهي قِيم تجمع بين الثّبات والمرونة، ثبات في الأحوال والأهداف، ومرونة في الفروع والوسائل، منضبطة بشرع الله عزّ وجلّ.

٨- تدعو إلى العلم: قِيم القرآن تدعو وتحثّ على العِلم والتّزوّد منه وإنفاقه في ما يرضي الله تعالى ويعود بالنفع على البشريّة. فأوّل آية من القرآن تحثّ على القراءة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (٣). وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». وهي تؤثّر في التّراث الإسلامي والإنساني.

يستطيع الدّارس للقِيم القرآنيّة أن يتلمس التّوجهات الإنسانيّة، فتراثنا يعكس آيات وأدلة ساطعة لقِيم القرآن الكريم بحيث تجد لتلك القِيم الأثر البيّن في إثراء العلوم الإسلاميّة (٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٣).

(٢) سورة النجم: الآية رقم (٣٩).

(٣) سورة العلق: الآية رقم (١).

(٤) ينظر: المدخل إلي القِيم، ص٤٠.

هذه بعض مميّزات القِيم القرآنيّة ذكرتها بإيجاز مراعاة لطبيعة البحث. وبوقوفنا على هذه المميزّات لقيم القرآن الكريم نستطيع بحول وقوّته أن ننتقل إلى منهج القرآن الكريم في غرْس القيم التي هي موضوع التربية.

المبحث الثاني

تربية الإنسان على قِيم القرآن الكريم

فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: مكانة الإنسان في الإسلام

المطلب الثاني: مفهوم التربية وهدفها وأنواعها في الإسلام

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم في تربية الإنسان

المبحث الثاني

تربية الإنسان على قِيم القرآن الكريم

المطلب الأوّل: مكانة الإنسان في الإسلام

الإنسان هو محور الرّسالة الإسلاميّة، فهو يركّز على بناء الإنسان أولاً. وقد تتبّعت حديث القرآن عن الإنسان فوجدت حوالي من ستين آية تتحدّث عن الإنسان في خَلْقه وخُلُقه وأحواله وأوصافه بجانب سورة الإنسان.

هذا الإنسان يذكر القرآن أنّ منه الصّالح وغير الصّالح، والمؤمن والكافر، وفيه غرائز ودوافع أشياء كثيرة منها الشهوات والطّاعات والمعاصي، ليس مجال بحثها الآن.

من هنا كان الإنسان أكثر المخلوقات حاجة للرّعاية والتّربية والإعداد والتّهذيب والتّوجيه والتّعليم والتّدريب والمتابعة، ولذلك اتّجه الإسلام إلى تربية الإنسان تربية شاملة كاملة.

ثم تجد في القرآن الكريم تكريم الله للإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات، فهو أكرم المخلوقات عند الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

وتحدّث القرآن الكريم عن مواطن تكريم الإنسان، وهي كما يلي:

(١) سورة الإسراء: الآية رقم (٧٠).

١-الخلق: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١).

٢- سجود الملائكة لآدم بأمر الله: قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(٢).

٣- جعله خليفة في الأرض: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٣).

٤-النّداءات القرآنيّة: التي ترتبط بتمكين الله للجنس البشري في الأرض، والهدف من هذه النّداءات هو الحرص على الإنسان أن يكون في طاعة ربّه، وتُرينا مدى عناية الرّحمن بهذا المخلوق.

وتنوّعت هذه النّداءات، فلم ينادي سبحانه المؤمن ويترك غيره.

فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾(٤).

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾(٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾(٦).

---

(١) سورة التين: الآية رقم (٤).

(٢) سورة ص: الآية رقم (٧١، ٧٢). يراجع القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٣/١. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص١٤٣، وتاريخ الدعوة: ٦٩/١.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (٣٠).

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (٣٥).

(٥) سورة الأعراف: الآية رقم (٢٦).

(٦) سورة البقرة: الآية رقم (٢١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾[3].

٥- العلم وإرسال الرّسل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[4]. يقول ابن كثير (يرحمه الله) في تفسير هذه الآية: "هذا مقام ذكر الله فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصّه به من عِلم أسماء كلّ شيء دونهم، وكان هذا بعد سجودهم لآدم[5]".

٦- تسخير الكون: سخّر الله للإنسان كلّ ما يتّصل بأسباب عيش الإنسان ويشبع طاقاته، ومواهبه مذلّل له وميّسر له، من الأرض وفِجاجها وبناها وبحارها والأنعام وأنوعها والكواكب وبُروجها، والجبال ومعادنها... إلى غير ذلك من الأمور التي لا نستطيع حصرها. قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾[6].

---

(١) سورة الانفطار: الآية رقم (٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية رقم (١).

(٣) سورة المائدة: الآية رقم (٦٧).

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (٣١).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١/....

(٦) سورة النحل: الآية رقم (١٢). وينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم-دار الحديث-القاهرة، تحقيق/سيد إبراهيم، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م: ١/٦٧.

٧-العهود والمواثيق، التي تنظّم حياة الأفراد والجماعات: جاءت لتنظم حياة الإنسان عهود في العقيدة والعبادة والمعاملات والسّلوك والأخلاق[١]. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾[٢].

٨-التّحذير من الشيطان وعداوته ونزغاته ووسوسته: بدت عداوة إبليس لآدم عليه السلام وبَنِيه من بعده منذ سوّى الله آدم من طين... ثم نفخ فيه من روحه، فسرت نسمة الحياة وصار بشرًا سويًّا. ثم أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فقد خالف أمر ربّه وانحاز إلى معصيته وأبى واستكبر وكان من الكافرين. حذّرنا ربنا عزّ وجلّ من الشيطان من عداوته ومن همزاته ونزغاته، وخطواته ووسوسته ومن حضوره ومن عبادته والبغضاء، وأمرنا أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾[٣].

ولهذا كانت الرّعاية الإلهيّة لهذا الإنسان المستخلف بالتّفضل عليه بإرسال الرّسل وإنزال الصحف والكتب. منذ هبوطه على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٤]، إلى أن ختم الله النّبوة والرّسالة ببعثة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه هي مكانة الإنسان في الإسلام باختصار شديد قصدت بها التّمهيد لبيان دَوْر القِيم القرآنيّة في تربيته وإعداده، ولا غرو فهو موضوع التّربية في الإسلام.

---

(١) ينظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، ص٩.

(٢) سورة الرعد: الآية رقم (٢٠).

(٣) سورة المؤمنون: الآية رقم (٩٧، ٩٨).

(٤) سورة المؤمنون: الآية رقم (٣٨).

المطلب الثاني: مفهوم التّربية وهدفها وأنواعها:

تعريف التّربية في اللغة: يتضمن لفظ التّربية دلالات لغويّة متعدّدة تركّز جميعها على ما ينبغي أن تتضمّنه العمليّة التربويّة، منها:

- الإصلاح: تقول: ربا الشّيء إذا أصلحه، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنما التصحيح والتعديل(١).
- النّماء والزّيادة: ربا الشّيء يربو رُبواْ بمعنى زاد ونما.
- النّشأة والتّرعرع: ربى يربي، أي: نشأ وترعرع.
- التعليم: الرّباني من الرّب بمعنى التّربية، والرّباني: الرّاسخ في العِلم. أو الذي يطلب بعِلمه وجه الله تعالى.

وقال الرّاغب: الرّب في الأصل بمعنى التّربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التّمام(٢).

وقال البيضاوي: الرّب في الأصل اللغوي بمعنى التّربية، وهي: تبليغ الشّيء إلى حدّ كماله شيئًا فشيئًا(٣).

التّربية في الاصطلاح هي: المنهج الذي وصفه الإسلام ليحقّق التّطبيق الفعلي لتعاليم الإسلام، فهو يجمع بين العِلم والعمل والتّوزان، والقدوة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

---

(١) ينظر: المشكلات التربويّة الأسريّة وأساليبها العلاجيّة، د/خالد الحازمي، ص٢٣.
(٢) ينظر: مفردات القرآن، للراغب: ص٣٣٦.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٨/١.
(٤) ينظر: أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها، ص١٩.

وتعرّف كذلك بأنّها: "عمليّة تنمية الشخصيّة على صعيد التّدرّج والتّكامل بوصفها جسدًا ونفسًا وعقلاً وعاطفةً وسلوكًا. أو علِم إعداد الإنسان المسلم للحياة الدّنيا والآخرة إعدادًا متكاملاً من جميع نواحيه...[1]".

هدف التربية: تنشئة الإنسان المتكامل الصّالح الذي يقوم بأداء رسالته وبناء الإنسان عقائديًّا وأخلاقيًّا، ملتزمًا بقِيم الإسلام، جادًّا في طلب العِلم. وقد حدّد الرسول صلى الله عليه وسلم شخصيّة هذا الإنسان الخيّر بأنّه يصبح: «مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ[2]».

ضروب التربية الإسلاميّة: تتّسم التّربية الإسلاميّة بأنّها تشمل الإنسان في جانبه المعنوي والمادي، وهذه هي أنواعها أو ضروبها:

١-التّربية: الإيمانيّة.

٢-التّربية: الجسديّة.

٣-التّربية: النفسيّة.

٤-التّربية: العقليّة.

٥-التّربية: الخُلقيّة.

٦-التّربية: الفكريّة.

٧-التّربية: الاجتماعيّة.

٨-التّربية: الجماليّة.

---

(١) ينظر: التربية الأخلاقيّة، ص٦٠. وأهداف التربية الإسلاميّة وغاياتها، ص٢٠.

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعًا: المقاصد الحسنة للسخاوي، ص١٢٩.

٩-التّربية: الفرديّة.

١٠-التّربية: الجماعيّة.

١١-التّربية: العلميّة.

١٢-التّربية: الوقائيّة. ١٣-التّربية: الإداريّة.

هذه هي أنواع التّربية الإسلاميّة ذكرتها على سبيل العد فقط، وسأعرض لشرحها بشيء من التّفصيل عند الحديث عن دَوْر القِيم في التّربية.

المطلب الثالث: منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم:

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: معالم منهج القرآن في غرْس القِيم:

هذا المنهج الذي وضعه ربّ النّاس فهو منهج الحق يجد فيه الإنسان ما يلائم طبيعته، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾[1].

العِلم الدّقيق الذي يضع المنهج الملائم للإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2].

يحمل الهداية، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]. ، كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أقوم﴾ قال: التي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ؛ قال: والمخالف

(١) سورة النجم: الآية رقم (٣٢).
(٢) سورة الإسراء: الآية رقم (٩).
(٣) سورة البقرة: الآية رقم (٢).

هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا يقول: قيما مستقيما. (١)".

منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم صبغ كلّ المواضيع التي طرقها وعالجها بصبغة الهدى والموعظة والإرشاد، فصيّرها بذلك وحدة متكاملة متضامنة تعمل عملاً واحدًا وتسيّر الإنسان إلى غاية لا تتخلّف.

- التدرّج في الأحكام وكيفيّة أخذ النّاس بها على مراحل رتّب بعضها على بعض، مهدّت السّابقة منها للاحقة، وذلك بدعوة النّاس إلى:

- العقيدة أولاً.

- ثم الإصلاح النّفسي والاجتماعي ثانيًا.

السّير بالنّاس في كلّ ما يُلزم به من أحكام نحو اليسْر ورفع الحَرَج، وإقناعهم بأنّ كلّ ما يتصوّر دونه قيودًا ليس إلاّ أُسسًا لا بدّ منها لسعادتهم، ولصلاح معاشهم ومعادهم. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (٢).

وأنّها تحمل في طيّاتها سرّ الحياة الطّيبة للفرد والمجتمع، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤٤/٨.
(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٥).
(٣) سورة النحل: الآية رقم (٩٧).

إنّه يجعل الإنسان المتأمّل في آياته في حالة وسْطى بين الخوف والرّجاء. وهذه المظاهر التّربويّة تُرينا أنّ منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم منهج متكامل يعنى بالإنسان من كلّ جوانبه في أنواع القِيم التي هي موضوع التّربية حتى لا تطغى ناحية من النّواحي على الأخرى. وبذلك ينشأ الإنسان المسلم قويّ الصّلة بالله محقّقًا رسالته في الحياة.

ومن رحمة الله بالإنسان أنّ الله اصطفى واختار من يقوم بغرْس القِيم الصحيحة والصّريحة لقِيم الإسلام بروح متجرّدة تطبعها النية والسّلوك الصّادقين، وتزكّيها المصابرة والمثابرة والثبات وتعزّزها التضحية.

هذا هو سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

من أهمّ ما يميّز منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم أنّه منهج ربّاني جاء به صلى الله عليه وسلم ساعيًا إلى هداية الإنسان، بل الإنسانيّة جمعاء، داعيًا إلى رُشدها وكرامتها، والحفاظ على قِيمها وقيمتها.

(١) سورة الجمعة: الآية رقم (٢).
(٢) سورة التوبة: الآية رقم (١٢٨).

يدلّ على ذلك التّعبير بـــ(عزيز)، فهو صلى الله عليه وسلم جاء إلى الإنسانيّة رسولاً من ربّ العالمين، وهو رحمة بها.

لقد جاءت الهداية إلى الإنسانيّة دون بحْث أو عَناء بالمنهج الربّاني الذي أنزله عليه ربّ العالمين، وهو القرآن الكريم.

منبع القِيم وأساس الهداية فكان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم هو منهج القرآن في غرْس القِيم، لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم التزم بمنهج القرآن في البلاغ كما أمره الله تعالى بالبيان والتّبيين. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1].

المسألة الثانية: من قِيم القرآن الكريم في تربية الإنسان

قِيم القرآن الكريم: لا يحصيها بحْث أو كتاب ممّا كُتب حول القرآن من مؤلفات في تفسير القرآن وبقيّة علوم القرآن، وما كُتب حول إعجازه وهداياته كثير وكثير.. ثروة علميّة حول القرآن الكريم تحتاج إلى جهد وهمّة عالية، وهذا جهد المقلّ والله المستعان أقدّم بعض قِيم القرآن ودَوْرها في تربية الإنسان.

وهي كما يلي:

- قيمة العقيدة:

- المنهج العلمي في غرْس القِيم القرآنيّة في تربية الإنسان.
- الجمع بين بيان القرآن وتبيين السنّة.
- التطبيق الفعلي لهذه القِيم (النماذج).

(١) سورة المائدة: الآية رقم (٦٧).

- بيان العلاقة بين الأخلاق والقِيم.
- ربط هذه القِيم بواقع الإنسان.
- الإيجاز مراعاة لطبيعة البحث.

العقيدة الإسلاميّة: هي أصل كلّ القِيم القرآنيّة، وهي أساس للحياة –كما يراها الإسلام– ومنها يستمدّ الإنسان طاقته وبها يحدّد طريقته، ويبلغ غايته، ومن هنا اهتمّ الإسلام بقوتها في نفوس أبناءه حتى توجّه السّلوك وتسيطر على المشاعر، وتؤسس الواقع الكريم الذي يريده الإسلام للحياة.

- **منهج النّبي صلى الله عليه وسلم في غرْس قيم القرآن الكريم**

أسّس صلى الله عليه وسلم منهجه التّربوي الذي يرتفع بالإنسان إلى مدارج الرّقي النّفسي والعقلي والجسمي، والذي يجعله مؤهلاً لأن يحمل أمانة الله في الأرض فيعيش بها ولها.

بدأ صلى الله عليه وسلم بغرْس العقيدة في نفوس الصّحابة رضي الله عنهم فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته. بمثّل منهج الرّسل السابقين. قال الله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[1].

فبدأ صلى الله عليه وسلم بما يلي:

١- تصحيح الاعتقاد: من ذلك الدّعوة الفرديّة في مكّة، فقد عرض الإسلام على أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، فقال: «يَا أَبَا بَكْر، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَنَبِيُّهُ،

(١) سورة هود: الآية رقم (٥٠).

بَعَثَنِي لِأُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ وَأَدْعُوَكَ إِلَى اللَّهِ بِالْحَقِّ، فو الله إِنَّهُ لَلْحَقُّ، أَدْعُوكَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَعْبُدْ غَيْرَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ(١)».

وظلّ صلى الله عليه وسلم يدعو إلى تصحيح الاعتقاد ثَلاثَ عشرة سنة.

٢-تأسيس الاعتقاد: أسّس رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان بالله وباليوم الآخر في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم بالتّربية الحكيمة والمتابعة المتواصلة والاختيار الموفّق. فأسّس دار الأرقم بن أبي الأرقم التي جعلها مقرًّا لتربية أصحابه على الاعتقاد الصّحيح وتأسيسهم عليه.

٣-تزكية نفوسهم: أعطى صلى الله عليه وسلم جانب تزكية النّفس أهميّة بالغة في تربيته واعتنى بها عناية خاصّة، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾(٢).

٤-غرْس قِيمة العقيدة في نفوسهم: وذلك بعقد صلة دائمة بين هذه النّفوس وبين الله تعالى، في كلّ قوْل وعَمل، وكلّ فِكر، وكل شُعور.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد في تزكية نفوسهم على أهمّ عضو في جسم الإنسان، والذي يتوقّف صلاح بقية أعضاء الإنسان وفسادها عليه، هذا العضو الرئيسي هو "القلب" كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلاَ

(١) ينظر: السيرة النبويّة، لابن كثير: ٤٣٣/١.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٥١).

وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ[1]».

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

٦-تناول الإيمان لجميع فروع الدّين: أطلق صلى الله عليه وسلم الإيمان على جميع فروع الدّين. قال صلى الله عليه وسلم: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ[3]». ورواية مسلم: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

هذه الشُّعب، منها:

- ما يتعلّق بالقلب.

- ومنها ما يتعلّق باللسان.

- ومنها ما يتعلّق بالبدن.

فيتربّى الإنسان على ما يلي:

ما يتعلّق بالقلب:

١- المعتقدات والنيّات وكلّ أركان الإيمان السّتة.

---

(١) رواه البخاري: ٥/٣، رقم الحديث (٢٠٥١).

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم (٢٤، ٢٥).

(٣) رواه البخاري: ١٢/١، رقم الحديث (٩)، ومسلم: ٤٦/١، رقم الحديث (٦١).

٢- ما يتعلّق باللسان فيربّى على النّطق بالشّهادتين، وتلاوة القرآن، وتعلّم العِلم وتعليمه، والدّعاء والذّكر واجتناب اللغو.

٣- ما يتعلّق بالبدن فيربّى على التطّهر حِسًّا وحكمًا، واجتناب النّجاسات، وستر العورة، والصّلاة فرضًا ونفلاً، والزّكاة والجود والطّعام، وإكرام الضيف والصّيام فرضًا ونفلاً والحجّ.

٢- قيمة الإخلاص: ثمرة من ثمار العقيدة وخُلُق من أخلاق الإسلام.

وهو: أن يقصد الإنسان بقوله وعمله وجه الله تعالى.

دعا إليه الإسلام، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

الإخلاص دليل الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ[2]».

كيف يتحوّل الإخلاص إلى قيمة؟

روى ابن أبي حاتم، عن طاووس، أنّ رَجُلاً قال: يا رسول الله « إِنِّي أَقِفُ الْمَوَاقِفَ أَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ وَأُحِبُّ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سورة الأنعام: الآية رقم (١٦٢).
(٢) رواه مسلم: ١١/٨، رقم الحديث(٦٦٣٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]».

المبدأ: هو الإخلاص لله.

القيمة: بيّنها الرّسول صلى الله عليه وسلم في عدم الرّد على الرّجل ليصحّح له.

التّربية: المربّي الأوّل صلى الله عليه وسلم لم يرد لكنّه لم يعنّف الرّجل وأخّر الرّد للتّعليم وتأتي الإجابة عن طريق الوحي.

وهذا المنهج العلمي والعملي التّطبيقي اشتمل على المبدأ أو القيمة والتّربية المستقرّة المستمرّة.

وقيمة الإخلاص: لها أثر طيّب في الفرد والمجتمع، من ذلك:

أ- يبلغ بالإنسان الذّروة من السّمو والرّفعة.

ب- ينزّله منازل الأبرار.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ[2]».

جـ-يباعد بين الإنسان والرّياء: والمكر والخداع.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، (ط مقبل): ٤/ ٤٧٥، رقم الحديث (٨٠٢٠). والآية من سورة الكهف: (١١٠).

(٢) رواه البيهقي عن ثوبان في شعب الإيمان: ٩/ ١٧٧، رقم الحديث (٦٤٤٨).

٣- قيمة الحب في الله عزّ وجلّ: الحب في الله من علامات كمال الإيمان. أعلى أنواعه محبّة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ[1]».

هذه قيمة مرتبطة بالإيمان وثمرة من ثمار العقيدة.

تقدّم في التّربية لهذا الإنسان لتصحّ نفسه ويطمئن قلبه بهذا الحب القائم على العقيدة الصحيحة.

فحبّ الله ورسوله: مقدّم على حب النّفس والمال والأهل والولد. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

ثم يبيّن للمتربّي مظاهر حبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتي منها:

١-محبّة القرآن الكريم.

٢-محبّة العبادة.

٣-محبّة سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري: ١/ ١٤، رقم الحديث (١٦).

(٢) سورة التّوبة: الآية رقم (٢٤).

يقول عثمان رضي الله عنه: "لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[1]".

وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[2]». ثم يتّبع هذا الحبّ بحب الأهل والولد.

ثم يبيّن له ثمار هذا الحب، التي منها:

-أن يلقى الله في قلوب الصّالحين من عباده محبّته. يقول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ[3]».

ويقاس على هذه القِيم كلّ القيم التي تتعلّق بالعقيدة، مثل:

قيمة الشكر.

قيمة التقوى.

قيمة التوكل على الله عزّ وجلّ.

قيمة خشية الله ومراقبته في السّر والعلن.

---

(١) ينظر: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: (١/ ٤٧٩).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم، دار الجيل: ٨/ ٤٠، رقم الحديث (٦٧٩٨).

٤-قيمة العبادة في التّربية: العبادة طاعة الله والخضوع له والتزام ما شرعه من الدّين. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

العبادة حق لله على العبد: فالله هو الذي وهب الحياة للإنسان وأمدّه بما يحفظها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا[٣]».

فيربّى الإنسان على أنّ العبادة مكملة لشخصيّته مع العقيدة، ويتعرّف على بعض حِكم العبادات العمليّة وأسرارها النّفسيّة والخُلُقيّة والاجتماعيّة.

وتقدّم قيمة عبادة الصلاة نموذجًا ويقاس عليها بقية العبادات فيما وضع الله فيها من حِكم وهذه هي حِكم الصلاة.

---

(١) سورة الذاريات: الآية رقم (٥٦).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (٢١، ٢٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

١-الحِكم النّفسيّة: يقول صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ[١]». والمناجاة مخاطبة الله مباشرة، ويشعر العبد أنّه قريب منه، يسمع دعاءه، ويلبّي نداءه، ويستجيب له.

٢-من حِكمها: انتزاع النّفس من مادت الحياة. وتوجيه لها إلى الله بالذّكر، والدّعاء، والضّراعة، والخضوع لله. وهذا من شأنه أن يضفي على النّفس السّكينة والرّضا. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

٣-آثارها الخُلُقيّة: التطهّر من الرّذائل، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[٣]، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٤].

وفضلاً عن ذلك فإنّ الصّلاة تغرْس في النّفس قيمة الثّبات والكرم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[٥].

٤-آثارها الاجتماعيّة: وإذا كانت الصّلاة تكسب المرء سكينة النّفس، وتطبعه بطابع خُلقي جميل. فإنّ هذه الصّفات تجعل المقيم لها رضي النّفس، حسن

---

(١) رواه البخاري.
(٢) سورة المؤمنون: الآية رقم (١، ٢).
(٣) سورة الأعلى: الآية رقم (١٤، ١٥).
(٤) سورة العنكبوت: الآية رقم (٤٥).
(٥) سورة المعارج: الآية رقم

الخُلُق، عضوًا نافعًا في المجتمع الذي يعيش فيه، وتخلف من خليفة حيّة تعمل وتنتج ويعم خيرها للنّاس.

والحديث عن العبادة ودَوْرها في غرْس القِيم والتّربية يطول ليس هذا مكانه، وإنّما يحتاج إلى مجموعة من الأبحاث توفيه حقّه.

قيمة العقل: من القِيم التي ذكرها القرآن الكريم قيمة العقل ومنزلته في الإسلام ودَوْره في بناء الإنسان وتربيته، وقد وضع القرآن الكريم منهجًا وسطًا في غرْس قيمة العقل في تربية الإنسان يقوم على ما يلي:

١-تحرير العقل من الخرافات والأوهام.

٢-إثارة الحواسّ والوجدان، لأنّها أبواب الفكر.

٣-التّزوّد من العلوم المختلفة التي تزكّي العقل وترفع مستواه، وقد قام القرآن الكريم على هذه الأُسس دعوته.

ووضع المبادئ التي تحقّق ذلك، وهي:

١-لا يُكره الإنسان على الدّخول في الإسلام. قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[1].

٢-دعا إلى التّفكير، والتّفكير المنطقي الهادئ. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[2].

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٦).

(٢) سورة سبأ: الآية رقم (٤٦).

وفي القرآن كثير من التّكاليف مُذَيّلةٌ بالدّعوة إلى العقل والتّفكير، فحين يدعو إلى إنفاق ما زاد عن الحاجة يقول سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

ونعى القرآن على المقلّدين، وأنكر عليهم أن يلغوا عقولهم، ويهملوا أفكارهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٢).

لأنّ التّقليد يستبدّ بعقل المقلّد فيسري بدعواه الخبيثة من العقائد إلى الأعمال، فيقترف المآسي ويرتكب الآثام تحت تأثيره.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣).

٣-أقام القرآن دعوته على الإقناع والتّفاهم بالحجّة والمحاورة بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٢١٩).
(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٧٠).
(٣) سورة الأعراف: الآية رقم (٢٨).
(٤) سورة النحل: الآية رقم (١٢٥).

الأساس في التّربية العقليّة إثارة الحواسّ: احترم القرآن الحواسّ وأثبت أنّها أبواب المعرفة، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1].

نظر القرآن إلى الحواسّ نظرة كريمة، فحثّها على التّأمل في بديع صنع الله وعجيب مخلوقاته، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

وينعى القرآن على الذين يهملون حواسّهم ويغفلونها، فيقول سبحانه: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾[3].

٣-الأساس الثالث، توسيع مدار الفكر بالعلوم المختلفة: فدعا القرآن إلى العِلم، ورغّب فيه، وحثّ على تلقيه، ونوّه بفضله، وأشاد بأهله. وقد ذكرت شيئًا من ذلك عند الحديث عن مكانة الإنسان في الإسلام.

وجعل العلم من أهداف الرّسالة المحمديّة. قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[4].

ورفع درجة أهله، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[5].

---

(١) سورة النحل: الآية رقم (٧٨).
(٢) سورة يونس: الآية رقم (١٠١).
(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٨).
(٤) سورة القلم الآية رقم (١)
(٥) سورة المجادلة: الآية رقم (١١).

وضع قاعدة سليمة لوزن المعلومات، وتمييز صحيحها من زائفها وغثّها من ثمينها، فقرّر أنّ المسائل العلميّة لا تأخذ طابعًا علميّة إلاّ إذا قامت عليها بيّنة واستندت إلى دليل. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[2].

العمل بالعِلم. يقول ابن الجوزي (يرحمه الله): "فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر. والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلسًا، على قوة الحجة عليه[3]".

هذا قليل من كثير ممّا جاء في القرآن الكريم لاحترام العقل وتربية الإنسان على معرفة أهميّته في أداء رسالته في الحياة قائمة على الإيمان والعِلم النافع. فيجب على المربّين أن يقدّموا للمتربّين هذا المنهج القرآني في سُهولة ويُسر.

قيمة النّفس البشريّة: اهتمّ القرآن الكريم بالنّفس البشريّة، لأنّ دراسة النّفس البشريّة أقرب وأقوى. طريق يقود إلى الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

وركّز القرآن الكريم على فهم النّفس في شتّى مراحل أعمارها، لأنّه يعتبر أساس النّجاح في عمليّة غرْس القِيم.

---

(١) سورة النمل: الآية رقم (٦٤).
(٢) سورة الأنعام: الآية رقم (١٤٨).
(٣) ينظر: صيد الخاطر، ص١٥٩.
(٤) سورة الذاريات: الآية رقم (٢١).

وتربية الإنسان "لأنّ دراسة النّفس البشريّة لن تكون كاملة وشاملة إلاّ دخلت مجال القِيم والأخلاق... وعلى أنّ تلك القِيم والأخلاق إلهيّة[1]".

ومن اهتمام القرآن الكريم بالنّفس البشريّة ورد ذكرها في القرآن الكريم نحو (٣٦٧) ثلاثمائة وسبعة وستين موضعًا.

وذكر أحوالها: من رضا وغضب وقناعة وشرّ، ومن حب وكره.

وربط بين النّفس والكون قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[2].

وحذّر من نسيان النّفس قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[3].

وهدف القرآن الكريم غرْس القِيم النّبيلة في النفس البشريّة عن طريق التّربية النفسيّة.

وقد وضع القرآن الكريم منهجًا واضحًا أذكره بإيجاز:

اهتمّ القرآن بتنقية الإنسان من دنس الرّذيلة، وتحلّيه بشعار الفضيلة، فأمره بفعل أنواع الخير، ونهاه عن سائر أنواع الشّر جملة وتفصيلاً. قال تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[4].

---

(١) ينظر: علم النّفس في التّصور الإسلامي، ص٣٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية رقم (٢٠، ٢١).

(٣) سورة الحشر: الآية رقم (١٨، ١٩).

(٤) سورة الحج: الآية رقم (٧٧). ٢-يراجع: علم النّفس الإسلامي، للشيخ إبراهيم سرسيف، ص٥٥، القرآن وعلم النّفس، د/محمد عثمان نجاتي، ص٧٣.

وقد أطنب القرآن الكريم في شرح المأمورات والمنهيات بما لا يتّسع لذكره الآن، إلاّ على سبيل الإشارة، فقد أمر:

- بالصّدق.
- والوفاء.
- والأمانة.
- والعدل والإحسان.
- وبرّ الوالدين والأقارب والفقراء.
- والعفو.
- وغض البصر.
- والتّعاون على الخير والإصلاح بين النّاس.
- ونهانا عن المنكر والبغي والسرقة والخيانة والزّهو والسخريّة، والغيبة والنميمة، وسوء الظّنّ والتّعاون على الإثم والعدوان... إلى غير ذلك ممّا يطول تقصّيه وتتبعه والاستشهاد عليه بآيات القرآن.

لكن لا يفوتني أن أذكر أُسس التّربية في القرآن الكريم، وهي:

١-العزّة. ٢-حب الحقّ والثبات عليه. ٣ -الصّبر.

ووضع منهجًا لتربية الإنسان على هذه الأُسس يبدأ:

١- بالعزّة: حاول القرآن الكريم أن يشرب بها قلب الإنسان، وأن يجعلها جزءًا من عقيدته تختلط بدمه ولحمه قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وفي سبيل تربية نفس الإنسان على العزّة قرّر ما يأتي:

أ-الثبات على عقيدة التّوحيد: التي هي أوّل القِيم القرآنيّة -كما ذكرت من قبل- فالإنسان الذي يؤمن بالله وحده لا يشرك به أحدًا يشعر بالعزّة ويحسّ بالكرامة.

ب-حوائج العباد جميعا بيد الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2]. فيتربّى الإنسان على أنّ لكلّ مخلوق رزقه، وهو مقسوم ومسجّل في كتاب مبين. فعليه أن يطلبه من الله وحده، ويسعى إليه بالوسائل المشروعة، وأن يجمل في الطلب. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ[3]»، لأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر.

ويتربّى على الرّضا بما قسم الله، فلا يحقد على أحد ولا يضمر سوءا. وبهذا يريح ويستريح.

٢-حبّ الحقّ: يتابع القرآن الكريم رسالته في التّربية النّفسيّة فيبيّن أنّ النّفوس كلّها كنفس واحدة، وسبحان الخالق فقد خلق النّاس جميعًا من نفس واحدة،

---

(١) سورة المنافقون: الآية رقم (٨).

(٢) سورة هود: الآية رقم (٦).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، ت الأرنؤوط: ٣/ ٢٧٥، رقم الحديث (٢١٤٤).

ويسمو بالإنسان أن يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه، وينهانا عن اللّمز والطّعن والعيب، فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾(١). ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾(٢).

ومن فضل الله تعالى أن خلق في الإنسان رقيبًا من داخل نفسه يمنعه من الجَوْر، ويصدّه عن الشّر، وأساس هذه الرّقابة هي عقيدة الجزاء.

فالإنسان محاسب على عمله، وسيتولّى حسابه من يعلم السّر وأخفى، وسيكون حسابه دقيقًا. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٣).

القِيم القرآنيّة: تنأى بالإنسان عن الوقوع في الخسّران. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾(٤).

ونهى الإنسان عن اتّباع الهوى: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٥).

والصّبر المقصود في التّربية النفسيّة: الصّبر على المأمورات الصّبر على المحظورات.

---

(١) سورة الحجرات: الآية رقم (١١).
(٢) سورة الإسراء: الآية رقم (٧).
(٣) سورة الزلزلة: الآية رقم (٧، ٨).
(٤) سورة العصر: الآية رقم (٣).
(٥) سورة النّازعات: الآية رقم (٤٠، ٤١).

٣- التّربية الجسميّة: قِيم القرآن الكريم لم تغفل شأن التّربية الجسميّة، فقد وضع للجسم نظامًا يحتفظ عليه صحّته، ويحميه من الأوصاب والعِلل، ووضع لذلك هذه الأُسس، وهي كالتّالي:

١- حمى القرآن الكريم حياة الإنسان وصحّته، وجعل التّكاليف تتّبعها وتتأثر بها. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

٢- نهى عن التّغالي في الدّين. قال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾(٢). وأوجب القصد فيه، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾(٣).

٣- أباح للإنسان زينة الحياة الدنيا. قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٤).

وجعل للوقاية دعائم هي حدّ ذاتها قِيم إسلامية، وهي:

١- النّظافة: فقد أمرنا الإسلام بها وحثّنا عليها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٥).

٢- الرّياضة البدنيّة:

---

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٢٨٦).
(٢) سورة النّساء: الآية رقم (١٧١).
(٣) سورة القصص: الآية رقم (٧٧).
(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (٣١).
(٥) سورة البقرة: الآية رقم (٢٢٢).

فالسباحة وتأديب الفرس يُمثلان الرياضة المطلوبة من المسلم والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه روي أنه سبق فرسه وبعيره وصارع وصرع ركانة وكان يسابق زوجته عائشة فتسبقه، وكان يمر بالشباب وهم يلعبون ويسلم عليهم ويدعو لهم، فقد روي عن ابن العالية أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بفتية وهم يرمون فقال: (ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً) [1]..

٣- الطّعام والشّراب: وقد راعى القرآن فيهما

أولاً: عدم الإسراف ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾.

وقد اشتهر على ألسنة الحكماء "المعدة بيت الدّاء، والحمية رأس الدّواء".

ثانيًا: نظافة الطّعام والشّراب وخلّوها من العفونات والأقذار والميكروبات ﴿يا أيها ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2].

التّربية الخُلُقيّة: وظيفتها بناء جيل ملتزم بالخير، متجنّبًا الشّر والجرائم، ولذلك فهي خير وسيلة للقضاء على مشكلة ازدياد الجرائم والانحرافات بجميع أنواعها.

هي خير وسيلة لبناء خير فرد وخير مجتمع. وهي ضروريّة لتحقيق التّماسك والتّجانس الاجتماعي، وتحقيق السّعادة وصيانة الأجيال من تسرّب الفساد إلى نفوسهم[3].

(١) مجمع الزوائد، ٥ /٢٦٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٧٢).

(٣) ينظر: التّربية الأخلاقيّة، مرجع سابق، ص٥ وما بعدها.

مراحل التّربية الأخلاقيّة:

اهتم القرآن الكريم ببيان مراحل التّربية الأخلاقيّة كما يلي:

١-مرحة ما قبل الولادة: وهذه المرحلة ترجع إلى الأبوين بأن يكونا من ذوي الأخلاق الحميدة، لأنّ الطّفل كالنّبتة فالأرض الصّالحة تنبت النّبات الحسن. لهذا أنبت الله مريم نباتًا حسنًا، لتنتج ثمرة طيبة وكانت تلك الثمرة هي عيسى عليه السّلام. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[1].

ولأنّ انتقال أخلاقيّات الآباء إلى الأبناء لا يكون عن طريق المحاكاة فحسب، بل عن طريق الوراثة أيضًا، ولذلك ركّز الإسلام في الاختيار على الزّوج الصّالح والزّوجة الصّالحة.

المرحلة الثانية: النّظامية: تنقسم إلى عدّة مراحل بارزة هي:

١- مرحلة الرّضاعة.

٢- مرحلة الحضانة.

٣- مرحلة الطّفولة المتأخرة.

٤- مرحلة البلوغ أو المراهقة.

٥- مرحلة الشّباب وهي مرحلة الأشد والرّشد.

المرحلة الثالثة: مرحلة التّربية الذّاتيّة والاجتماعيّة، حدّدها علماء التّربية وقسّموها إلى ثلاثة مراحل:

---

(١) سورة آل عمران: الآية رقم(٣٧).

١- مرحلة الرّشد المبكّر.

٢- مرحلة وسط العمر.

٣- مرحلة الشّيخوخة.

يظلّ الإنسان بحاجة إلى مزيد وعي اجتماعي في اختيار الصّديق واختيار الزّوجة الصّالحة، وفي التّعامل مع النّاس...إلخ

فيجب أن يُلمّ بالمبادئ الأخلاقيّة والقِيم الإسلاميّة، وعليه أن يُلمّ بجميع مضار الرّذائل وطرق تسرّبها إلى نفس الإنسان. وقد وضع علماء التّربية قواعد لاستمرار التّربية الأخلاقيّة، وهي:

القاعدة الأولى: المراقبة المستمرّة.

القاعدة الثانية: احتمال الفضائل وتجنّب الرّذائل.

القاعدة الثالثة: المصاحبة الدّائمة للأخيار[١].

ولمّا كانت التّربية الإسلاميّة شاملة كاملة، فهناك أيضًا:

١-التّربية الاجتماعيّة.

٢-التّربية الإداريّة.

٣-التّربية الوقائيّة.

٤-التّربية الجماليّة.

---

(١) يراجع في ذلك: كتاب التّربية الأخلاقيّة، من ص٤٤٩-ص٤٩٦. وكتاب: تربية النّشء في الإسلام:

أذكرها عدًّا مجردة من التّعليق والشّرح خشية الإطالة.

وإذا كان لنا أن نتحدّث بعد ذلك عن أثر قِيم القرآن الكريم في تربية العقول والنّفوس والأبدان، فليس أمامنا إلاّ أن نعود إلى الوراء، ونستحضر تاريخ أسلافنا المجيد، أولئك الذين استظهروا القرآن الكريم واستنبطوه، فصحّت أجسامهم، وسلمت عقولهم، وعظمت أخلاقهم وسجّل لهم التّاريخ صفحة بيضاء ناصعة تشهد للقرآن وقِيمه بأثره العميق، وفضله الباهر، وتأثيره المعجز البديع.

رزقنا الله فهم القرآن الكريم والتّخلّق بأخلاقه والالتزام بقِيمه وتطبيقها في سلوكنا.

خاتمة بأهم النّتائج والتّوصيات

أ- النّتائج

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فأشكر الله وأثني عليه بما هو أهله إذ أعانني على كتابة هذا البحث الذي تناولت فيه موضوعًا يهم كلّ مسلم، ألا وهو موضوع "القِيم في القرآن الكريم ودَوْرُها في تربية الإنسان".

وقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من كتابة البحث راجيًا الله عزّ وجلّ أن يكون عملي مقبولاً عنده سبحانه، وأن ينفع به لتكون قّيم القرآن الكريم والسنّة النبويّة هي زاد المربّين في إعداد النّشء المسلم.

وقد استفدت من هذه الدّراسة على إيجازها وخرجت بالنّتائج التالية:

١-أنّ القِيم مفردها قيمة، ويستخدم اللفظ في المادّيات والمعنويّات وللفظ مشتقّات في القرآن الكريم منها: الاستقامة، والعزم، واللّزوم، والوقوف... إلخ.

٢-مفهوم القِيم في الاصطلاح يأتي تبعًا لمصدرها عند كلّ أمّة، فمصدر القِيم في الإسلام القرآن الكريم والسنّة النبويّة، لذلك فهو لفظ عام يختلف مفهومه من أمّة إلى أخرى.

٣-ترجع أهميّة القِيم في الإسلام إلى أنّ الإنسان هو محور رسالته.

٤-القِيم ترتبط بالمبادئ والتّربية فالعلاقة بينهم علاقة عضويّة.

٥-أصول القِيم في الإسلام: العقيدة، العبادة، الأخلاق. فهي تستنبط من المبادئ، والقِيم موضوع التّربية. والإنسان هو موضوع التّربية.

٦-تتميّز القِيم في القرآن الكريم بأنّها ربّانية المصدر، ولذلك تتعلّق بالتّكليف في المسؤولية والحريّة والاختيار.

٧-للإنسان مكان في الإسلام، لأنّه محور رسالته، ولذلك كرّمه على سائر المخلوقات في الخلق والعلم والعقل...إلخ.

٨-التّربية تأتي في اللغة بمعنى النماء والزّيادة والإصلاح والتّزكية.

٩-هدف التّربية الإسلاميّة: تنشئة الإنسان الصّالح، ولذلك تعدّدت ضروبها.

١٠-منهج القرآن الكريم في غرْس القِيم يتّسم بالتدرّج، والتّكامل والشّمول، واليسْر ورفع الحَرَج.

١١-منهج الرّسول صلى الله عليه وسلم في غرْس القِيم هو منهج القرآن، لأنّه جمع فيه بين بيان القرآن الكريم وتبيين السنّة النبويّة، لأنّ الله أرسله لإخراج النّاس من الظلمات إلى النّور، وتعليمهم وتزكيتهم.

١٢-بدأ صلى الله عليه وسلم في غرْس القِيم القرآنيّة بالعقيدة أولاً، ثم تابع ذلك فبدأ بتصحيح الاعتقاد ثم بتأسيس الاعتقاد، ثم بحماية الاعتقاد، وتزكية نفوسهم وتعليمهم أمور الدّين.

١٣-قِيم القرآن الكريم تحتاج إلى الجهد البشريّ بجانب منهج القرآن الكريم، حتى يرتبط المنهج بالسّلوك الذي هو الأساس في عمل القِيم.

ب- التّوصيات:

<u>نظرًا لأهميّة القِيم في القرآن الكريم يوصي الباحث بما يلي:</u>

١-الاهتمام بدراسة تلك القِيم في دراسات موسوعيّة بجانب الدّراسات الأخلاقيّة، لأنّ الأخلاق ترتبط بالقِيم ارتباطًا وثيقًا، فهي الجانب العملي للأخلاق في الإسلام.

٢-توفّر الباحثين على دراسة القِيم، لأنّ كلّ قيمة تحتاج إلى بحث مستقلّ لأنّها قِيم ثابتة مستقرّة ومستمرّة.

٣-الاهتمام بتربية النّشء على هذه القِيم، فهي صمّام الأمن للإنسان، والبُعد به عن الانحراف في سلوكه.

٤-على المربّي أن يجتهد في تحقيق القدوة في غرْس هذه القِيم فيبدأ بنفسه أولاً.

٥-أوصي بأن يكون لهذه القِيم مقرّر دراسي مستقلّ في قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة، لأنّها تدرّس ضمن مقرّر المنهج الخُلُقي في الإسلامي لطلاّب الدّراسات العُليا.

٦-على المؤسسات التعليميّة أن تقوم بدورها في ذلك.

وختامًا أتقدّم بخالص الشّكر والتّقدير والعرفان بعد شكر الله عزّ وجلّ لكلّ من يُسدي إليّ ملاحظة أو توجيه، فهذا المجال لا زال يحتاج إلى الكثير من الدّراسات.

وهذا جهد المقلّ فما أصبت فيه فمن توفيق الله وحده وبفضله، وما أخطأت فيه فمن ضعفي، الذي أرجو فيه العفو من الله سبحانه.

وأسأل الله أن يتقبّل منا جميعًا صالح العمل، وأن يغفر لنا الزّلل، فهو نعم المجيب، وهو نعم المولى ونعم النّصير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها، د/عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر- ١٩٧٩م.

٢. بحوث ملتقى التربية بالقرآن الكريم: مناهج وتجارب، جامعة أم القرى لعام ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٣. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٤. بناء الأجيال،د/عبد الكريم بكّار،كتاب البيان،ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م- الرياض.

٥. تاريخ الدّعوة، د/جمعة الخولي، دار الطباعة المحمديّة.

٦. التّربية الأخلاقيّة الإسلاميّة ضرورة عصريّة، وآليات تنفيذها: دراسة مقارنة، أ.د/مقداد بالجن، دار عالم الكتب، ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٧. التّربية الإسلاميّة: المقوّمات والتطبيقات، أ.د/سعيد إسماعيل علي وآخرون، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٨. تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم، د/خالد القرشي، دار المعاني، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩. تفسير البيضاوي...

١٠. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة بمصر، ط١، ١٣٨٤هـ.

١١. خصائص القرآن الكريم، د/فهد الرومي، مكتبة العبيكان، ط٩، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٢. دراسات في علوم القرآن، د/فهد الرومي، مكتبة الرّشد-الرياض.

١٣. دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين،د/محمود سعد،مكتبة وهبة،بدون تاريخ.

١٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرّسالة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٥. السنّة قبل التدوين، د/محمد الخطيب، دار الفكر، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٦. السيرة النبويّة، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة- لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

١٧. صيد الخاطر، ابن الجوزي، عناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم-دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٨. علم النّفس الإسلامي، الشيخ إبراهيم سرسيق، محاضرات الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورّة، للعام الدّراسي ١٣٩٧هـ.

١٩. علم النّفس في التّصور الإسلامي: دراسة تقويميّة إيجابيّة، د/عبد الحميد الهاشمي، جامعة أم القرى، المؤتمر العلمي للتّعليم الإسلامي، ١٣٩٧م-١٩٧٧م.

٢٠. العهد والميثاق في القرآن الكريم، د/ناصر العمر-الرياض، ١٤١٣هـ.

٢١. القرآن وعلم النّفس، د/محمد عثمان نجاتي، دار الشروق-القاهرة، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٢. القِيم الخاصة لدى المبدعين-محي الدين أحمد، دار المعارف، ١٩٨١م.

٢٣. قِيم حضارية في القرآن الكريم، الشيخ/توفيق سبع، دار المنار–القاهرة.

٢٤. القِيم وأثرها في نفوس الأفراد والجماعات، د/محمد حنفي، مجلة الوعي الإسلامي–الكويت، العدد (٣٧٥)، ١٤١٧هـ.

٢٥. لسان العرب، لابن منظور، ط١، دار صادر–بيروت.

٢٦. المبادئ والقِيم في التربية الإسلاميّة، د/محمد خياط، مطبوعات جامعة أم القرى، عام ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

٢٧. المدخل إلى القِيم، جابر قميجة، دار الكتب المصريّة واللبنانيّة، ١٤٠٤هـ– القاهرة.

٢٨. المسلم المعاصر بين القِيم الإسلاميّة والمصالح الشخصيّة، للأستاذ: حيدر قفة، مجلة الوعي الإسلامي–العدد (٣٩٥)– عام ١٤١٩هـ–١٩٩٨م،

٢٩. المسئوليّة الخُلُقيّة والجزاء عليها: دراسة مقارنة، د/أحمد عبد العزيز الحليبي، شركة الرياض للنشر والتوزيع.

٣٠. المشكلات التربويّة الأسريّة وأساليبها العلاجيّة، د/خالد الحازمي،....

٣١. المعاجم التربوية–لطفي بركات أحمد، دار الوطن.

٣٢. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، تحقيق/سيد إبراهيم، ط٣، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، دار الحديث–القاهرة.

٣٣. مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط٣، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢ه، دار القلم–دمشق.

٣٤. الموافقات، للشاطبي، شرح الشيخ عبد الله دراز، وترقيم الشيخ/ محمد عبد الله دراز، دار المعرفة–بيروت.

٣٥. موسوعة المورد–منير البعلبكي، دار العلم للملايين.

٣٦. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، د،صـــالح بن حميد ومجموعة من الباحثين، دار الوسيلة–جدة، ط٣.

٣٧. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د/محمد محمود حجازي، دار الكتـــب الحديثة، ١٩٧٠م.